بُهلول بن عَمرٍو الصَّيرفيّ
أَحَدُ عُقَلاءِ المجانِينِ الَّذِي
استقدمه الرَّشِيدُ ليسمعَ نَوادِرَه

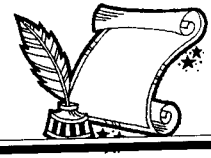

بُهلول

العامة هنا يقولون : بَهلول - بفتح الباء - والصواب ضمها !

إنه اسم ظريف حقّا ، من معانيه «الضّحّاك» وقد كان بُهلول ضَحّاكًا ؛ وهو «أبو وهيب» بُهلول بن عمرو الصيرفى كان من المتأدبين ثم اعترته وسوسة ، فعرف بالمجنون !

وكان هذا الصِّنف من عقلاء المجانين حبيباً إلى الناس ، يحبون أن يسمعوا حديثَه ، ويتحرَّوْا أخبارَه!

إنه يجمع بين المتناقضات من عَقل وجنون ، وسفه وحكمة ، وطيش ورزانة ، ومثله يثير فى النفس بواعث الشَّفقة والإعجاب ، ومظاهر التناقض ، حيث الطرافة والجدّة، واللذة!

وكان منظر بهلول وحركاته ، وسكناته ، وتصرفاته مما يغرى الأطفال بالضحك عليه ، والسخرية منه ، والصياح وراءه ، ورميه بالحجارة ، ومع هذا فإنه لم يكن يخرج عن طوره ، بل يقابل ذلك كله بهدوء وعطف على من يؤذونه !

رماه الأطفال مرة بحجر فأدمَوْه ، فقال :

حَسْبِىَ اللهُ توكّلْتُ عليه
ونَواصِى الخَلْقِ طُرًا [1] بِيَدَيْه
ليسَ للهاربِ فى مَهْرَبِهِ
أبدًا من رَوْحَةٍ إلا إليه !
رُبّ رامٍ لى بأحجار الأذَى
لم أَجِدْ بُدًا من العَطْفِ عليه !

(١) طُرًا : جميعاً ، وتعرب حالا .

فهل رأيت إنسانية أسمى من العطف على مَن يؤذونه ؟!

قال له «أحد العقلاء» ذات يوم ، وقد تعقبه الأطفال ورمَوه بالحجارة : لم لا تشكو هؤلاء الأطفال لآبائهم ؟

أتدرى بم أجاب بهلول هذا الذى يعد أحد عقلاء المجانين ؟!

قال لهم : اسكتوا - أيها المجانين ! ، فلعلى إذا مت يذكرون هذا الفرح فيقولون : رحم الله ذلك المجنون !

لقد دعاه هارون الرشيد ليُضحكه ، وليسمع الحكمة من فمه، فلا عجب إذا قال السابقون : «خذوا الحكمة من أفواه المجانين» !

فتعال إلى تلك الشخصية لنسرى عن أنفسنا .

تناول حجارة وارمهم كما يرمونك

وقال له عاقل : تناول حجارة ، وارم الأطفال كما يرمونك ؟!

فقال له بُهلول : مَهْ (اسكت) يا مجنون ! ، إنى إن فعلت شيئا من هذا رجعوا إلى آبائهم ، فقالوا لهم : هذا المجنون بدأ يحرك يديه ، فيجب أن تُغَلّ وتُقيَّدَ يداه !

فلا يكفينى ما ألقاه من الأطفال ، بل يقيدنى الرجال !

بُهلُول والرشيد

لبُهلول ناحية فى غاية الطرافة ، وهى تَستُّره وراء مظهر جنونه ، وقيامه بنصيحة الخلفاء والأمراء بأقوى لفظ ، وأصرح بيان ، ومن نوادره الرائعة ، وأقواله الغالية مَارُوى أن الخليفة هارون الرشيد خرج إلى الحج ، فمرّ بالكوفة ، فرأى بهلولا يعدو على «قصبة» وخلفه الصبيان ، فقال الرشيد :

كنت أشتهى أن أراه وحده ، فادعوه دون أن تروّعوه أو تخوفوه ، فلما حضر بين يديه قال له :

يا بهلول ، كنت إليك مشتاقا !

بُهلول : لكنى لم أشتق إليك .

الرشيد : عِظنى !

بُهلول : وبم أعظك ؟ هذه قصورُهم ، وهذه قبورهم !

الرشيد : زِدْنى !

بُهلول : من أعطاه الله مالاً وجَمالاً ، فعَفّ فى جماله ، وواسَى فى ماله ، كتب فى «ديوان الأبرار» .

الرشيد : قد أمرنا بسداد ديونك إن كانت .

بُهلول : لا ، إنه لا يُقْضَى دَيْنٌ بدَيْن ، اُرْدُدِ الحقَّ إلى أهله ، واقضِ دينَ نَفْسِك !

الرشيد : ألك حاجة ؟

بُهلول : أنا وأنت عِيالُ الله ، فمُحالٌ أن يذكرَك وينسانى !

ثم ركب قصبتَه وجَرَى !

وأخذ الرشيد يستعيد كلّ كلمة قالها ، ولم يسمعها من أولئك العقلاء !!

بهلول بين المقابر !

ويجلس بُهلُول بين المقابر ، فينطق بالموعظة الحسنة والحكمة البالغة فيقول لكل غافل :

«أما ترى هذه الأعين السائلة ، والمحاسن البالية، والشعور

المتمعطة [1] ، والجلود المتمزقة ، والجماجم الخاوية ، والعظام النخرة ، لا يتقاربون بالأنساب ، ولا يتواصلون تواصل الأحباب

قد صارت الوجوُه عابسة بعد نَضْرتها ، والعظامُ نَخِرَةً بعد قُوّتها ، تجر عليهم الرياحُ ذُيولهَا ، وتصبّ عليهم السماء سيولها !!»

دعوة من بُهلول للخليفة !

وقف بهلول يوما فى طريق الرشيد ليدعو له إذا ما مر به ، فلما حاذاه الرشيد ، قال :

يا أمير المؤمنين ، أسأل الله أن يرزقك ، ويوسع عليك ، فضحك الرشيد ، وقال : آمين !

فلما تجاوزه الرشيد منصرفا عنه صفعه الوالى ، وقال له : أهكذا تدعو لأمير المؤمنين يامجنون ؟!

فقال بهلول للوالى : اسكت يا مجنون ! ، فليس فى الدنيا أحب إلى أمير المؤمنين من الدراهم !

فبلغ ذلك الرشيد ، فضحك وقال :

والله ما كذب ... والله ما كذب !!

بُهلول يسجل رأيه على قصر الخليفة!

بنى بعض الخلفاء قصرا ، فتناول بهلول قطعة من الفحم وكتب عليه :

«رفعتَ الطِّين ، ووضعتَ الدِّين ، ورفعت الجِصّ [2] ووضَعت النَّصّ» .

---

(١) المتساقطة .

(٢) من مواد البناء .

وهكذا قصر العقلاء ، فى نصيحة الخلفاء والأمراء ، فقام بهذا الواجب عقلاء المجانين !

من فكاهته الحُلوة !

من فُكاهته الحُلوة ، ونوادره الطريفة ، وأجوبته المسْكتة ، أن أمير الكوفة ولد له بنت ، فساءه ذلك !

فذهب إليه بُهلول ، وقال له :

أيَسُرُّك أن لك مكانها ابنًا مثلى ؟!

فقال له : ويحك ! فرّجْتَ عَنِّى ما أنا فيه !

هو والخليفة موسى الهادى !

صحبه مجنون آخر مثله ، فقابلهما الخليفة الهادى ؛ فقال لبُهلول : لم سُمّيتَ بهلولا ؟

فقال له : ولم سُمّيت أنت مُوسَى؟

فشتمه الهادى وسَبّه ، فنظر بهلول إلى صاحبه ، وقال له : كنا اثنين ؛ فأصبحنا ثلاثة !

إنه يرى أن يكون للعقلاء فضلهم على غيرهم فيتحلون بالحلم ، وسماحة النفس ، ولين الجانب ، والصبر ، وإلا لحقوا بعقلاء المجانين !

بُهلول والصِّبيان !

كان بُهلول يوماً جالسًا ، والصِّبيان يُؤذونه ، وهو يقول لا حولَ ولاقوة إلا بالله ... ويكررها مرارًا ؟!

فلما طال أذاهم له أخذ عصاه وقال :

حَمِيَ الوطيسُ [1] ، وطابتِ الحربُ ، وأنا على بَيِّنةٍ من رَبِّى !

ثم حَمَل عليهم وهو يقول :

أَشُـــدُّ على الكتـــيـــبـــة لا أُبالى

أفـيـهـا كـان حَـتْـفِى [2] أم سِـواهَا

فتساقط الصِّبيان بعضهم على بعض ، وتهاربوا !

فقال : هُزِمَ القومُ ، وولَّوُا الأَدْبَار !

أمرنا أميرُ المؤمنين - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أن لا نَتْبعَ مُوَلِّيًا ، ولا نُجْهزَ على جريح !

ثم رجع ، وجلس ، وطَرَحَ عَصَاهُ وقال :

فـألقت عَصَـاهَا واسـتَـقَـرّ بهـا النَّوَى

كـمـا قَـرّ عـيـنًا بالإيابِ المسـافـرُ [3]

بهلول يتكلم بالقرآن !

كان بهلول يحفظ القرآن ، وكثيرا ما تسعفه الآيات فى المواقف الحرجة ، فتجرى على لسانه ، وتُصيبُ مَن حَوْلَه بالدهشة والعجب !

وذات يوم فرّ منَ الصِّبيان ، فلجأ إلى دار قد وجد بابَها مفتوحًا ، فدخلها ، وصاحبُ الدار قائم له ضفيرتان !

فصاح به : ما أدخلك دارى ؟

فقال : «ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض [4]» .

---

(١) الوطيس : المعركة ، وحمى الوطيس : جدت الحرب واشتدت .

(٢) الحتف : الهلاك .

(٣) استقر به النوى : أقام .

(٤) اقتباس لطيف من الآية الكريمة رقم ٩٤ من سورة الكهف .

وحمل عليه الصبيان يوماً ، فدخل دارا ، فدعاه صاحب الدار إلى طعامه ، فجعل الصبيان يصيحون بالباب وهو يأكل ، ويقول : «فضُربَ بينهم بُسورٍ له بابٌ باطنُه فيه الرحمة وظاهرهُ من قبَلِه العذاب [1]»

أيهما المجنون ؟

وقف رجل على بُهلول ، فقال له : قد وقفتَ أنتَ ههنا ، والأمير يُعطى المجانينَ كلَّ واحد درهمين !

فقال له بهلول : فاعْرِض عَلَيَّ دِرْهَمَيْك !

ما تقول يا بُهلول ؟

قيل لبُهلول : ما تقول فى رجل مات وخلّف أُمّا وزوجةً وبنتا؟

فقال : للأم الثُّكْل ! وللبنت اليُتْم !

وللزوجة الحَرَب ! (الهلاك) . وما بقى فهو للعَصَبَة !

لماذا هرب ؟

دعاه الرشيد ذات يوم ليضحك منه ، فلما دخل عليه دعا له بمائدة ، ليس عليها إلا الخُبزُ وحدَه !

فولّى بهلول هاربا ! فقال الرشيد : إلى أين ؟

فقال : أجىء إليكم «يوم الأضحى» فعسى أن يكون عندكم لحم !!

---

(١) اقتباس لطيف من الآية الكريمة رقم ١٣ من سورة الحديد .

بهلول وتَركَةُ والده !

لما مات والد بُهلول ترك ستمائة درهم ، فحظر عليه القاضى التصرفَ فيها لِصغَر سنه حتى يبلغ سن الرّشد .

فجاءه يوما ، وقال له : أيها القاضى ، ادفع إلىّ مئة درهم حتى أجرب الاتّجارَ بها ، فإن أحسنتُ دفعتَ إلىّ الباقى !

فدفع إليه القاضى ما طلبه .

فأخذها ، وأتلفَها ، وعاد إلى مجلسِ القاضى وقال : إنى أتلفتُ المئةَ ، فتفضَّلْ بردِّها ، وتَحمَّل عنِّى مسئوليتهَا ، فقد أسأتَ حين دفعتَها إلىّ قبل أن يثبتَ عندك رشدى !

فقال القاضى : صدقت يا بُهلول ، وردّها من ماله الخاص !

بُهلول فى مقبرة

رُئى بهلول فى مقبرة ، فقيل له : هَلاّ خالطت الأحياء من الناس بدلا من الأموات ؟! فقال : إنى بين قوم إن حضرت لم يؤذونى ، وإن غبت لم يغتابونى .

قيل له : فادع الله ؛ فإن الناسَ فى ضُرّ وشدة من الغلاء !

فقال : وما عَلَىَّ مِن ذلك ، ولو بلغتِ الحبّةُ دينارًا !!

وإنما علىّ أن أعبدَ اللّهَ كما أمرنى ، وعليه أن يرزقنى كما وعدنى ، وأدلى رجليه فى قبر ، ثم صفق بيديه وأنشد :

يامن تمتع بالدنيا وزينتها
ولا تنامُ عن اللّذاتِ عيناهُ
شغلت نفسك فيما لستَ تُدركُه
تقولُ لله ماذا حينَ تلقَاه ؟!

أحب الناس إليه

قال الرشيد لبُهلول : من أحبُّ الناس إليك ؟

قال : من أشبع بطنى !

قال : أنا أُشْبِعُك فهل تحبنى ؟

قال : الحب بالنسيئة [1] لا يكون !

بُهلول والمجانين

قيل لبُهلول: عُدَّ لنا مجانين البصرة !

فقال : هذا يكثر جدا ويَبْعُد !

ولكن إذا أردتم عددت لكم عقلاءهم !

الحمد لله

صعد أحد ولاة مدينة الكوفة - المنبر فى أول ولايته ، ثم قال: الحمد لله ، ولم يجد ما يقوله ... فجعل يكرر «الحمد لله» .

وكان بُهلول بالمسجد ، فتطلع إليه ، وقال : الذى ابتلانا بك !

مِن عَمَلِ اللصوص !

مَرّ بُهلول بسوق الأقمشة والملابس ، فرأى قوما مجتمعين على باب دكان ينظرون إلى «نَقْب» قد نُقِبَ على بعضهم !

فاطّلع فى «النَّقْب» ثم قال : وكلكم لا تعلمون من فعل هذا ؟!

قالوا : لا .

---

(١) النسيئة : تأجيل دفع الثمن ، وتأخيره . يريد أن الحب بالأعمال لا الأقوال .

قال : فإنى أعلم !

قال الناس : هذا مجنون يراهم بالليل ، ولا يتحاشَوْنه ؛ فألينوا له القولَ لعله يُخبرنا بذلك !

فسألوه أن يُخبرهم فقال :

إنى جائع ، فهاتوا أولا أربعة أرطال رقاق ورأسين!

فأحضروا ذلك له فأكل ولم يُبق شيئا !

ثم نظر إليهم وقال : هأنذا أشتهى شيئا حُلْوًا بعد الأكل !

فأحضروا له رطْلَىْ «فالوذج» [1] ، فلما فرغ من أكلها ، قام وتأمل «النقب» ثم قال :

كأنكم الساعة لستم تعلمون : مِن عَمَلِ مَن هذا النقب ؟

قالوا : لا .

قال : هذا مِن عَمَلِ اللصوص لاشك !

وفرّ من بين أيديهم !

≡III بهلول وطامع فى ماله

كان بهلول يجمع ما يُوهَبُ له عند امرأة كانت له كالأم !

وربما أخفى عنها شيئا ودفنه فى أرض خربة !

وذات يوم أتته «عشرة دراهم» تصدق بها عليه أحد المحسنين، فذهب بها إلى أرض خربة ، ودفنها فيها !

ولمحه رجل ، فانتظر حتى خرج بُهلول ، وذهب إلى المكان الذى أخفاها فيه ، وأخذها !

---

(١) حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، وتصنع من النشا والماء والسكر .

ولما عاد بهلول لم يجدها ، وكان قد رأى الرجل يوم دفنها فأيقن أنه هو الذى أخذها !

فذهب إليه وقال : اعلم يا أخى أن لى دراهمَ مدفونة فى مواضع كثيرة متفرقة ، ولقد جاءتنى «فكرة» أن أجمعها كلها فى مكان واحد مأمون دفنت فيه منذ أيام عشرة دراهم !

فبالله عليك ، احسب لى كم تبلغ جملتها ؟

قال الرجل - وهو يحلم بالاستيلاء عليها - هات:

قال بهلول : خذ عشرين درهما فى موضع كذا ، وخمسين فى موضع كذا ، حتى طرح عليه مقدار ثلثمائة درهم .

ثم قام من بين يديه ومَرّ ، والرجُلُ يحلم بالحصول على هذه الثروة ! ، وأخذ يفكر فى طريقة للحصول عليها ..

فقال فى نفسه : الصواب أن أرد العشرة إلى موضعها حتى تطمئنّ نفسهُ ، فيجمعَ إليها هذه الجملة ، ثم آخذها كلها مرة واحدة ! فردها ، وجاء بهلول ، فدخل الخربة ، وأخذ العشرة ، و«قضى حاجته مكانها» !!ووضع فوقها ترابا ، وخرج مسرعا .

وكان الرجل مترصدا لبهلول ، وقت دخوله وخروجه ، فلما خرج أسرع إلى ذلك المكان ، ومد يده ليرفع التراب عن الدنانير ، فتلوثت يده ، بفضلات بهلول ، ولم يجد شيئا ! ، وفطن لحيلة بهلول !

وبينما هو يغسل يده التى تلوثت إذ أتاه بهلول فقال له :

احسب ياسيدى ، عشرين درهما ، وخمسة عشر درهما وعشرة دراهم ، وشُمّ يدَك !

فوثب الرجل ليضربه ، ولكنه كان قد فر من بين يديه !

أطعمنى مما تأكل !

قال بعضهم : مررت يوما ببُهلول ، وهو يأكل خبزة مع دجاجة ، فقلت له : يا بهلول ؛ أطعمنى مما تأكل !

فقال : ليس هذا لى وإنما دفَعَتْه إلىّ «أم جعفر» آكُلُه لها .

هل يكفى اثنين رأس خروف ؟

قيل لبهلول : أيكفى اثنين رأس واحد ؟

قال : نعم إذا كان أحدهما نائما !

بهلول وصاحب المارستان !

حكى أن صاحب «المارستان[1]» أتاه بقدَح فيه دواء وقال له : اشرب يابن الـ...

فقال بهلول : هات حتى أشربَه، والله أعلم أنك أحق به منى!

عندما حُمِل إلى المارستان !

ولما حُمِل إلى المارستان سأل الحراس والمشرفين عليه أن يأذنوا له فى زيارة بيته ليُوصىَ أهله بشىء ، ولكنهم منعوه ، ولم يسمحوا له ، فقرأ :

﴿ فَلا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [يس : ٥٠]

عزاء جميل

أصيب إسحق بن محمد بن الصباح الكِندى بابن له ، فجزع، فدخل أهل الكوفة يُعَزّونه !

---

(١) المصَحّة ، أو المستشفى .

ودخل معهم بُهلول ، فقال : أيسّرك أنه بقى ، وأنه مثلى ؟!

قال : لا والله ، وإنها لتعزية !

ما تشتهى يابُهلول ؟

قيل له : ما تشتهى من الفاكهة الرطبة ؟

قال : لحم .

قيل فمن اليابسة ؟

قال : قَديد ! (اللحم المجفف فى الشمس) .

قيل : فمن الشراب ؟

قال : المرقة !

قيل : فمن السماع؟

قال : نشيشُ المقالى (صوت المِقلى)

كيف نفى التهمة عنه ؟

رمى بُهلول رجلا فَشَجَّ رأسه وسال دمه !

فقدمه إلى الوالى ، فقال له :

لم رميت هذا ؟

فأجاب : مارميتُه ، ولكنه دخل تحت رَمْيتى !